

الشيخ العربي التبسي والثورة التحريرية - حقائق وشهادات -

د/ هلال الأسعد

جامعة سطيف 02

مقدمة:

تتناول هذه المداخلة العلمية هو دور قطب من أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية الجزائرية ألا وهو الشيخ المجاهد العربي التبسي الذي قدم خدمات جليلة في سبيل الدفاع عن دين ولغة بلاده ليكملها بالدعوة للجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في إطار ثورة نوفمبر 1954.

وتسلط الضوء في هذه المداخلة على موقف ودور الشيخ العربي التبسي من الثورة التحريرية ودعوته إلى الحرية والاستقلال اقتداء بزعيم جمعية العلماء الشيخ عبد الحميد بن باديس، وذلك من خلال شهادات تلامذة الجمعية وبعض المراجع الأخرى. فكيف كان موقف الشيخ العربي التبسي من الثورة؟ وماهي الخدمات التي قدمها لصالح الثورة؟

والحقيقة أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكن معارضة للعمل الثوري وللحرية والاستقلال لأن زعيمها الإمام عبد الحميد بن باديس كان يؤمن بالثورة ضد الاستعمار. وقد قرر القيام بها حسب بعض الروايات لولا وفاته في 16 أفريل 1940، فقد ذكر الشيخ حمزة بوكوشة أن الإمام عبد الحميد بن باديس قد فكر في الثورة أيام اشتعال الحرب العالمية الثانية

فقال : >> اجتمعت به لآخر مرة بنادى الترقى و كان حاضرا الاجتماع تلميذه الشيخ محمد بن الصادق المليانى ليس غير، و بعدما تحدثنا معه فى مواضيع خاصة و عامة انتفض رحمه الله وقال: هل لكم أن تعاهدوني، فقال له الشيخ محمد المليانى لا أستطيع قبل أن اعرف، ثم توجه إلي وقال، وأنت فقلت: إذا كان علي شيء أنت فيه معي فأني أعاهدك ، قال طبعاً أنا لا أكلف غيري بما لا أكلف به نفسي ، فمددت يدي و صافحته و قلت: إني أعاهدك و لكن على ماذا؟ قال إني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها إيطاليا الحرب ثم افترقنا ولم يعد بعدها إلى الجزائر، وهكذا كانت نيته، و لست أدري كيف تكون الحالة لو عاش فينا إلى ذلك الحين <<.

ويذكر أحد طلبة معهد عبد الحميد بن باديس أنه سمع من الشيخ محمد الصالح بن عتيق أن الإمام بن باديس زار الميلية خفية بعدما انتقلت من الرقابة الاستعمارية، وسأله عن درجة استعداد الأمة فأجابه بأن رجال الميلية مستعدون، فدعاه للتزول فاعتذر لقصر الزيارة ويصف أنه قد فهم أن الإمام قد حدد دخول إيطاليا في الحرب للبدء في الثورة، لكنها لم تدخل حتى مات، وكانت عينه على إيطاليا لأنها كانت تجاور الجزائر ويمكن أن تمدنا بالسلاح. ويؤكد هذا التوجه ما ذكره محمد الصالح بن عتيق بأن الإمام بن باديس قال له ذات يوم: >> لو وجدت عشرة يوفقونني على القيام بالثورة لقمنا بذلك << ويضيف محمد الصالح الصديق بأنه ذات مرة حدثه علي مرحوم بأنه كان جالسا مع الإمام بن باديس، فسأله شخص فقال: >> يا شيخ يلاحظ الناس بأنك لا تدعو إلى الاستقلال وتحرير الجزائر فقال له الإمام: نحن نبني الجدران، والاستقلال هو سقف الجدران، وهل هناك من يبني سقفا بدون جدران <<.

أما الشيخ مطاطلة تلميذ الإمام بن باديس فيقول: >> ذات مرة في الحرب العالمية الثانية و التي ضاعت فيها الفرصة للجزائر، وكان قد وصل إلى مسامع الشيخ عبد الحميد بن باديس خبر أن فرنسا تجند الجزائريين لمحاربة الألمان ، فضاقت بهذا الكلام ذرعا، و كان له صديق من سطيف اسمه إبراهيم بلال ، قال له ياسي إبراهيم ، يقال أن أي ثورة انطلقت من سطيف كانت ناجحة فما رأيك الآن ، فهذا الوقت الذي تخرجون فيه إلى الجبال و أنا أمامكم ، بدل محاربة الألمان، وكيف تساعدون فرنسا ، وإذا مت فاضربوا على قبري و أخبروني أن فرنسا سقطت، وفعل ذلك الشيخ مبارك الملي، ورغم وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلا أن إدارة الاحتلال ظلت تتخوف من قوة العلماء وتأثيرهم في الأوساط الشعبية لأنها كانت تدرك أن بن باديس قد ترك وراءه في خضم المعركة رجالا ورثوا الكلمة والنهج السليم لقيادة الحركة في اتجاهها الانفصالي عن فرنسا .

ومن بين أولئك الرجال الذين ورثوا الكلمة و المنهج الرافض للوجود الاستعماري الشيخ العربي التبسي الذي كان إلى جانب الشيخ بن باديس منذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي 1931م، والذي يشهد له زملاؤه وتلامذته بدفاعه المستميت في سبيل المحافظة على دين ولغة هذه الأمة العربية المسلمة لأن ثورية الشيخ العربي التبسي وباقي اقرانه من العلماء كانت بدايتها بمواجهة السياسة الفرنسية الرامية إلى فرنسا وتنصير الجزائريين وبالتالي فقد قدم العلماء من خلال المدارس والمساجد والنوادي والصحافة لكن اندلاع الثورة المسلحة كانت فرحة لشيوخ و تلامذة الجمعية للمشاركة فيها لطرد المحتل، رغم أن الموقف الداخلي الرسمي لم يكن واضحا ممثلا في الشيخ العربي التبسي والشيخ خير الدين كي لا تعرض للجمعية للحل كما أن الذين فجروا الثورة لم يكونوا معروفين لكن الموقف الخارجي من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الفضيل الورثيلاني كان

واضحاً من خلال نداء 03 نوفمبر 1954 وبيان 15 نوفمبر 1954 من خلالها تأييد العمل المسلح وربما يعود هذا تواجدهما بمصر ومعرفتها بالأحداث .

وتذكير محمد العربي الزبيري أن بعض المسؤولين عن المنطقة الثانية تحدثوا عن موقف العلماء فقال: <<وأما قيادة الداخل فإن زعماءها باستثناء الشيخ العربي التبسي الذي كانت مواقفه مشرفة وثورية منذ أن دوت الرصاصة الأولى ... لم يستجيبوا لنداءات الثورة وظلوا يناورون سواء من أجل تجاوزها للتفاهم مع العدو أو لربح الوقت لعل الجيش الفرنسي يتمكن من إخماد النار بسرعة>>.

لكن المتبع لأعداد البصائر يرى بأن دور الشيخ العربي التبسي كان واضحاً من الإشارة بالأعمال المسلحة وهي دعاية للثورة فجاء :<<و لا تقبل الأمة بأية حل ولا ترضى عن برنامج إصلاحى إلا إذا حقق رغبتها التحريرية الكبرى في كل ما يتعلق بالحكم والإدارة و الشؤون العامة ، وكل ما يتعلق بدينها ولغتها ... كما تتوجه إلى الأمة بكلمة طيبة تستحثها فيها على التماسك والتكتل والوحدة المطلقة في سبيل الدفاع عن حريتها المنتهكة و حقها المغصوب و كرامتها المهدورة وروحانياتها التي امتهنت حتى تخرج من هذه الأزمة الطويلة المدى بتحقيق أهدافها وبلوغ غايتها الكبرى وأن تصبر الصبر الجميل على ما تعانيه من إرهاب و مظالم فإن ساعة الفرج قريبة بحول الله >>، والمتمعن جيداً داخل قيادة العلماء يلاحظ أن هناك جناحاً تزعمه الشهيد العربي التبسي بمساعدة الشيخ أحمد حماني، والشهيد رضا حوحو، إبراهيم مزهودي ومصطفى بوعابة يدعو إلى الالتحاق بالثورة التحريرية .

والمتبع لأعداد البصائر و للتيار الذي تزعمه الشيخ العربي التبسي يجده في العدد 305 ليوم 11 فيفري 1955 افتتاحية بعنوان " المستقبل لنا" تعليقا على إسقاط البرلمان الفرنسي حكومة " منديس فرانس" وكتبت البصائر ما يلي :<<إن هذا الاندفاع الشعبي العظيم

الذي يشمل كل أوجه الحياة في القطر الجزائري، حري بأن يحقق لهذا الوطن العزيز ما يرجوه من حرية كاملة... سواء وقفت حكومة منديس فرانس مع هذا التيار الجارف و حاولت مجاراته فسقطت أو أوقفت حكومة الغد ضد هذا التيار الجارف و حاولت كسره ، فكسرت فإن هذا التيار الشعبي الجارف سينتصر ويفوز وسيحطم أمامه كل مقاومة، وسيكسر أمامه كل الحواجز وسيوصل الجزائر إلى ساحل أمانها ويحقق لها آمالها في حياة السعادة والكرامة... إن النصر لمن صبر الساعة الأخيرة من هذا الكفاح الطويل الميرير... ولنعلم أن تحقيق الأماني و تحرير البلاد من قيود الاستعباد ليس هو نتيجة مسعى حكومة أو برنامج حزب أو ألعوبة مجلس نيابي لا يعرف نفسه ، بل إن كل ذلك هو نتيجة تضامن الأمة وتماسكها ووقوفها الموقف المشرف في الدفاع عن حقها <<.

ونفس الفكرة نجدها في افتتاحية الثامن عشر من شهر فيفري 1955 التي يرى العربي الزبيري أنها مكتوبة بقلم الشيخ العربي التبسي وقد جاء في البصائر: <<وتململوا وتحركوا، ودبت فيهم روح الحياة الحرة الجاحمة التي تحطم أمامها كل معترض مهما كان قويا عاتيا، وتقدموا إلى الأمام يخوضون معركة الحياة وقد حملوا أرواحهم فوق أيديهم فيزحفون إلى الأمام ولا يتقهقرون أبدا إلى الخلف>>.

لقد أكد لنا إبراهيم مزهودي أن الاتصالات صعبة بدأت منذ جانفي 1955 بالجزائر العاصمة وكان رفقة الشيخ العربي التبسي العربي بوقادوم من جيجل الذي كان همزة وصل مع مبعوثي جبهة التحرير، ويضيف - مزهودي - أن الشيخ العربي التبسي طلب منه أن يتحرك مع الثورة بكل قوة لأنه مفتش التعليم ويستطيع أن يتحرك بسهولة، أما هو - العربي التبسي - لا يستطيع أن يبين نفسه لأنه كان معروفا لكن الاتصالات تبقى مستمرة بينها.

وحسب مزهودي فقد تم تكليفه بالشرق المنطقة الثانية والأولى ، وكذا الاتصالات مع زيغود يوسف ومع بشير شبحاني ، ويؤيد هذا الرأي أبو القاسم سعد الله إلى أن الشيخ إبراهيم مزهودي التحق منذ 1955 فيقول: >> في حين التحق آخرون بالجبال كما قلنا مثل الشيخ إبراهيم مزهودي الذي كان يعمل مع الثورة فلما كنت في الجزائر سنة 1955 كنت أسمع الأصدقاء التي تصلنا من أن هناك أعضاء من جمعية العلماء خصوصا أولئك الذين يشتغلون في ميدان التفتيش ممن تسمح لهم مهنتهم بالتنقل من مكان لآخر، أو الذين يجمعون الاشتراكات لجريدة البصائر، فكل هؤلاء كانت لهم مهمة ظاهرة ومهمة خفية مثل جمع الرسائل و توزيعها و الاتصالات السرية بين أفراد الجمعية و أفراد جيش التحرير أي كانوا يقومون بمهام محددة في عملهم في إطار الجمعية>>.

وقد سئل الشيخ العربي التبسي في شهر فيفري 1956 من طرف جريدة لومند «le monde» كما يلي، متى انضمتم إلى هذا الموقف الوطني المتشدد؟ فأجاب الشيخ التبسي: >> أما كشخص فقد كان هذا موقعي دائما، وأما كجمعية فعزمتنا هذا أعلننا عنه منذ يناير الأخير>>، وهذا يبين أن الشيخ العربي التبسي كان على اتصال مع الثورة كشخص لا كجمعية وقد ذكرت بعض التقارير الفرنسية أن التبسي قد هدد بالذهاب إلى التمرد بتدريب عدد من الجزائريين معه.

ورغم أن جمعية العلماء قد أعلنت انضمامها للثورة رسميا في جانفي 1956 إلا أن عبان رمضان وجبهة التحرير لم يجدوا أي عائق في ممارسة جمعية العلماء ولنشاطها العادي وربما قد يكونوا هم من أفتعوه بذلك لكن شرط الجهة عدم ممارسة أي نشاط سياسي خارج عن جبهة التحرير، وهذا واضح من خلال إشادة ميثاق الصومام، بمواقف الجمعية وتأييدها للثورة فإنه لم يشير إلى حلها رغم أنها كانت نقطة حساسة في المؤتمر.

لقد كانت مبادئ الشيخ العربي الثورية ثابتة فحتى عندما اتصلت به جبهة التحرير وطلب منه العربي بن مهيدي أن يخرج من الجزائر لأنه كان مستهدفا من السلطة الفرنسية أجاب بأنه إذا كان الخروج للقيام بمهمة لجبهة التحرير فإنه مستعد لذلك، أما لمجرد الهروب من الموت فإنه يعتبر ذلك فرارا من الزحف.

كما أن توجيهاته وآرائه كانت حاضرة أيضا حيث يذكر أحد ضباط الولاية الثالثة التاريخية أن القيادة طلبت من الشيخ العربي التبسي فتوى في صيام رمضان بالنسبة للشوار فتولى نقل الطلب وإرجاعه الربيع بوشامة الذي التقى بعميروش وقال له بأن الشيخ العربي التبسي يقول بأن المجاهدين في الكتائب يجوز لهم أن يفطروا لأنهم في أي وقت سيشتبكون مع العدو، وأما المثقفين والمحافظين السياسيين والذين يشرفون على العمل الدعوي والسياسي فهؤلاء يجب أن يصوموا إلا إذا دخلوا في معركة وحجزوا عن إتمام الصيام فيجوز لهم أن يفطروا. ومن خلال المصادر والشهادات تبين جليا المساهمة الفعالة للشيخ العربي التبسي وللعلماء في الثورة في مختلف الميادين ويتضح أن وزن جمعية العلماء من خلال اعتماد قيادة الثورة على طلبتها وشيوخها بالنظر إلى مكانتها الدينية وشعبيتها فقد كانت في نظر الشعب الجزائري المرجع الأساسي في المسائل الدينية الذي يثق فيه.

ونظرا لخطورة الرجل فقد قامت السلطات الفرنسية باختطافه واغتياله في 4 أبريل 1957 وقد أشارت إلى ذلك جريدة المقاومة الجزائرية لسان حال الثورة الجزائرية حيث نشرت في عددها 13 ليوم 22 أبريل 1957 بلاغا ساهم مكتب جمعية العلماء حول اختطاف الشيخ التبسي، وقد اغتيل التبسي في ظروف غامضة، ويقال أن عصابة اليد الحمراء هي التي اختطفته.

خاتمة

يمكن القول أن الشيخ المجاهد العربي التبسي من أبرز الرجال الذين نادوا بالاستقلال ودعوا إلى المشاركة في الثورة التحريرية، وشهادة المعاصرين له تؤكد ذلك ، حيث أنه جعل معهد عبد الحميد بن باديس وبعض مدارس الجمعية خلايا سرية للثورة التي قدمت خدمات كبيرة للثورة بالنظر إلى الصعوبات التي واجهها خاصة في المرحلة الأولى، وما اهتمام السلطة الاستعمارية بهذا الرجل إلا دليل واعتراف بقيمته وأدى ذلك إلى اغتياله، وشهادته في سبيل حرية واستقلال الجزائر التي وهبت مليون ونصف المليون من أبنائها للتخلص من براثن الاستعمار الفرنسي، ونتمنى أن تبقى الدراسات مستمرة حول الشهيد الشيخ العربي التبسي وكل الرجال الذين ساهموا في الدفاع عن الوطن بالسلاح والكلمة والقلم.

الهوامش:

1 - لقد أكد عمار أوزقان- أحد التيار الشيوعي في تلك الفترة - أن الشيخ باديس قد ناضل ضد الاستعمار وقد كان له أصدقاء سياسيين وشخصيين داخل كل الأحزاب خاصة المناضلين الثوريين مهما كان انتماءهم السياسي والعقائدي، فمنهم من كان ينتمي إلى حزب الشعب الجزائري أو الحزب الشيوعي أو مناضلون نقابيون وكان بعض رؤسائهم من تلاميذه بالجامع الأخضر: انظر:

Amar Ozegane : le meilleur combat, preface de Abdelkader djeghtoul, editions ANEP, Rouiba , Alger, 2006 p34.

2 - سليمان الصيد: رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة أول نوفمبر 1954، ط1، دار هومة، الجزائر، 1995، ص ص 26-27.

3 - المرجع نفسه، ص ص 28-29.

4 - محمد الصالح الصديق: مقابلة شخصية، بمنزله بالقبة، الجزائر العاصمة الخميس 30 أكتوبر 2008.

5 - عمار مطاطلة: مقابلة شخصية بمنزله الالبيار، الجزائر العاصمة، 12 نوفمبر 2008.

- 6 - عبد الكريم بوصفصاف: صدى وفاة بن باديس، في تقرير الفرنسية والصحافة الأهلية عام 1940، مجلة الأصالة، العدد 68/69، الجزائر أفريل - ماي 1979، ص 54.
- 7 - محمد العربي الزيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث، قسنطينة 1984، ص 186.
- 8 _ البصائر: مقال البيان من جمعية العلماء المسلمين، العدد 304 ن يوم 4 فيفري 1955، ص 1.
- 9 - البصائر: مقال المستقبل لنا، العدد 305، يوم 11 فيفري 1955، ص 1.
- 10 - البصائر: مقال كتاب الأدغال، العدد 306، يوم 18 فيفري 1955، ص 1.
- 11 - إبراهيم مزهودي: مقابلة شخصية، بمنزله بتبسة، يوم 2 جوان 2009.
- 12 - مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الاولى داخلا وخارجا عند غرة نوفمبر أو بعض مآثر الفاتح نوفمبر، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 76.
- 13 - Khalfa mameri : Abane Ramdane , heros de la guerre d'Algerie , ed , Rehma, Alger , 1992 , pp226-227.
- 14 - أحمد ذياب: العربي التبسي والنهضة العلمية في الجزائر، مجلة الأصالة، ع8، الجزائر، ماي-جوان 1972، ص 271.
- 15 - عبد الحفيظ أمقران: مقابلة شخصية بمكتبه بالمجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر العاصمة، يوم 03 فيفري 2009.
- 16 - المقاومة الجزائرية: مقال أين يوجد الشيخ العربي التبسي؟، العدد 13، يوم 22 أفريل 1957، ص 1.
- 17 _ مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص 96.